## الثناء على الله

قَالَ رسُولُ الله ﷺ: إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ:

«أصْبَحْت أُثْنِي عليكَ حَمْدًا وأَشْهَدُ أنْ لا إِلهَ إِلّا اللّه» ثلاثًا. وإِذَا أَمْسَى: فَلْيقُلْ مِثْل ذَلِك[1].

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٤٠٦) وفي عمل اليوم والليلة برقم (٥٧١)، قال الشيخ مقبل الوادعي: حديث حسن. الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢/ ٥٣٢).

## المعنى العام للحديث

إلهي ومولاي: دخلت في وقت الصباح وأنا منشغل بذكرك، وتسبيحك، والثناء عليك وحمدك.

أو أصبحت وأنا مُقِرٌّ بألوهيتك ووحدانيتك؛ فلا إله إلا أنت وَحْدَكَ لا شريكَ لك.

## وقفات إيمانية

**الوقفة الأولى: هدف وغاية:**

اعلم أن الأذكار جميعها تدور حول الثناء على الله ﷻ، بما هو أَهْلهُ، والتخلّق بخُلقُ العبودية اللائق بكل عبدٍ يعرف قدر ربه، وجلال مولاه، وما شُرِّعَ الثناء إلا ليكونَ العبدُ على اتصالٍ دائم بربه، ومِنْ ثَمّ استشعار عظمته، فلا خاطر ولا حركة، ولا سكنة ولا هَمّ، ولا فعل ولا قول، إلا الله به عليم، وعليه رقيب.

*** أثني عليك حمدًا:**

الثناء: هو ذكر المحامد، وإظهار المحاسن بالقول الجميل، والإتيان بما يُشْعِرُ التقدير والتعظيم بصورة تامة: باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، وهو بهذا المعنى قريب من الحمد والشكر، ولكن هناك فارقًا:

**فالحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري فتقول حمدت الرجل على إنعامه، على شجاعته.**

**أما الشكر:** فيكون مقابل النعمة بالقلب واللسان والجوارح، فتقول شكرتك على زيارتك، وعلى تكريمك لي.

كما قال الشاعر:

أفادتكُم النعماءُ منّي ثلاثةً ··· يدي ولساني والضمير المُحَجّبا[١]

**فالحمد والشكر إذًا**: يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة؛ ولكن ينفرد الحمد في الثناء باللسان على النعمة، وعلى ما ليس بنعمة من الجميل الاختياري، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة[٢].

* وإذا كان الثناء هو ذكر المحاسن، وتعظيم الممدوح وإظهار مكانته، فلا شك أن أفضل ما يؤدي ذلك هو (الحمد)؛ لأن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه، فالله ﷻ له الحمد لما له من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، والأفعال الحميدة والأسماء الحسنى[٣].

**قوافل الخير تناديك:**

قال سلمان رضي الله عنه: «إن رجلًا بُسِطَ له من الدنيا فانْتُزِعَ ما في يده فَجَعَلَ يحمد الله ويُثْنِي عليه حتَّى لم يكنْ له فِرَاشٌ إلا بارية فجعل يحمد الله ويثني عليه، وبُسِطَ لآخر من الدنيا فقال لصاحب الفراش أرأيت أنت على ما تحمد الله؟ قال: أحمده على ما أُعطِيت قال: ما ذلك؟ قال: أرأيْتَكَ بصرك، أرَأيْتَكَ لسانك، أرأيْتَكَ يديك، أرأيْتَكَ رجليك»[٤].

يقول (ابن القيم رحمه الله): **يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه[٥].**

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ١٢٨).

(٢) نضرة النعيم، لمجموعة من العلماء، (٤/ ١٤٥١).

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم، (٢/ ٣٩١).

(٤) عدة الصابرين، لابن القيم، ١٣٢.

(٥) الفوائد، لابن القيم، ص٣١.

لك الحَمْدُ إنّ الرَّزَايَا عَطَاء وَإنَّ المُصِيبَات بعضُ الكَرَم[(١)]

* في ثنائك خير لك، ورحمة بك، وحضور للملائكة، وفتح لباب التوفيق.

* في ثنائك اقتداء بالنبي ﷺ في كثرة محامده لربه ﷻ كما قال ﷺ: «... **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»[(٢)].

* في ثنائك ثواب ما أعظمه!! كما في حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه وفيه: «كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**». قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «**مَنِ المُتَكَلِّمُ**». قَالَ أَنَا. قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»[(٣)].

* في ثنائك اقتداء بالصالحين: فلنقل مع الإمام الليثي: «اللَّهُمَ: لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولك الحمد على ما تَأخذ وتُعطي، ولك الحمد على ما تُميت وتُحيي، ولك الحمد كله، بيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، لك الحمد علام الغيوب، وغافر الذنوب وساتر العيوب وهادي القلوب[(٤)].

***

**الوقفة الثانية: أشهد أن لا إله إلا أنت:**

* أعْتَرِفُ، وَأُقِرُّ أن لا معبودَ بحقٍّ إلا أنت، (أشهد) فالشهادة لا تكون إلا

---

(١) من قصيدة «سفر أيوب» للشاعر بدر شاكر السياب.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٧٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٩٩).

(٤) تسبيح ومناجاة، د. محمد موسى الشريف، ص٥٢.

عن يقين وجزم، لهذا تقول عما رأته عيناك: شهدته، فاستحضر عظمة شهادتك وسمو قدرها، وعظيم ثوابها. فما تشهد به الآن هو الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها دين الإسلام، حقيقة التوحيد، والألوهية، وتلك الحقيقة هي مَفْرَق الطرق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد.

* وجاءت بصيغة النفي والاستثناء وهي أقوى طرق القصر تأكيدًا، لما فيها من نفي للألوهية لغير الله تعالى وإثبات تام له سبحانه فهو لمن هو صاحبها وأهلها.

**حقيقة شهادتك:**

**إن لكل قول حقيقة، ولكل ذكر غاية، فما حقيقةُ شهادتك، وما غايةُ ذكرك؟**

إنك لن تكون صادقًا في ذكرك إلا إذا علمت أن شهادة التوحيد لا تكفي بالقول، بل لا بد لها من مقتضيات ومستلزمات ومن ذلك:

(١) الاستسلام التام لله اعتقادًا وشعورًا، وعملًا وطاعةً.

(٢) التَّلَقِّي المُطْلق من الله: في العقائد والعبادات والمعاملات، والأخلاق، وفي سائر مناحي الحياة، وبهذا تكون متميزًا عن غيرك بما لديك من مُثُلٍ ربَّانية، وقيمٍ إلهية، ومبادئ سماوية.

(٣) أن تكون كما قال أحد الصالحين عبدًا لمولاك في كل حال كما أنه ربك وخالقك في كل آن.

(٤) أن يكون ولاؤك ومبتغاك له سبحانه، ومبتغاك رضاه وَلِمَ لا؟ وقدره عظيم، ووجهه كريم، وفضله عميم، وجوده واسع.

**وكما قيل: عبيد الدنيا**: يُريدون رضا ساداتهم، ومسايرة أهوائهم، واتباع شهواتهم، بارزوا مولاهم بالمعاصي، وأغضبوه بالآثام، وخالفوه بالذنوب، ولاقوه بالسيئات، وقابلوه بالخطيئات، هجروا القرآن، وتركوا المساجد، وجانبوا الشريعة مع أنه خالقهم، وحافظهم، ورازقهم.

**وعبيد الله**: يُريدون رضاه، ويبغون جنته ويخشون عذابه.

**فاختر لنفسك: أي العباد أنت؟** فالشراكة لا تنفع. أرشد لذلك الحبيب ﷺ: «**كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ العِنَبُ. كَذَلِكَ لَا يَنْزِلُ الفُجَّارُ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ. فَاسْلُكُوا أَيَّ طَرِيقٍ شِئْتُمْ. فَأَيُّ طَرِيقٍ سَلَكْتُمْ وَرَدْتُمْ عَلَى أَهْلِهِ**»[1].

واعلم أنك بشهادتك هذه صرت مرتبطًا بعقدٍ مع مَنْ شهدتَ به، لأن أساس الحياة السوية أن تعرف مَنْ معبودك؟ مَن الذي يُسِنّ لك ويُشَرِّعُ لك؟ ومن يُوَجِّهك ويُعَلِّمك ويُبَصِّرك؟ فإن قُلْتَ الله معبودي وإلهي فلتصدق وليكن الأمر أمره، والشرع شرعه، والحلال ما أحَلّ، والحرام ما حرّم، ولتتخلق بأخلاق الإسلام تلك الأخلاق الثابتة ثبات المعتقد نفسه، فلا تتغير لمصلحة، ولا تتبدل لظروف، فهي أخلاق نابعة من قيم السماء، ومن شرع المولى سبحانه، بينما عند غيرنا نابعة من ظروف وأحوال، وأهواء وأوطان، ومصالح وغايات، فنحن أهل صدق، لأن الله أمرنا به لا لأننا نكسب به دنيا أو جاهًا، وهكذا سائر الأخلاق.

* وتأدب بأدب الإسلام في القول والتعبير، والبيان، فالمقر لله بالألوهية

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير برقم (٨٨٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٤٦).

سينطق حين ينطق وهو يعلم أن الله ناظر إليه مطّلع عليه، سينطق حين ينطق وهو في الأرض ولكن قلبه معلق بالله في السماء. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء]، فالذي يشهد ويقر بهذه الألوهية يُحب أن يراه الله تعالى مع الصالحين الساجدين، لا مع اللاهين العابثين.

وشعاره قول ربه: ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]، ومنهج حياته قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].